المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، مخاطبنا فيه بأحسن خطاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الأطياب .

"مصطلح خطاب من المصطلحات التي ولجت في الدراسات النقدية الحديثة، وأصبحت أكثر تداولا لدى النقاد المعاصرين العرب، نتيجة احتكاكهم بالتيارات النقدية العالمية ، ورغبة منهم في تجاوز المفاهيم التقليدية، والسعي إلى آفاق المعرفية العلمية"[1] . وفي ضوء ذلك تعددت النظريات والمناهج التي اهتمت بدراسة وتحليل الخطاب، وقدمت العديد من النماذج والدراسات التطبيقية التي يصعب حصرها. والتي اهتمت في الغالب بالخطاب باعتباره مرادفا للنص مع إغفال جوانبه الأخرى، متأثرة في ذلك ببعض المناهج النقدية كالأسلوبية واللسانية والشعرية والبنيوية والسيميائية، والتي تسعى إلى تحليل النص تحليلا وصفيا يركز على البنى والظواهر اللغوية .

بينما نجد مفهوم الخطاب يتسع ليشمل إلى جانب النص المرسل والمستقبل في المعجم العربي فقد جاء في مادة (خ. ط. ب): "الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا. وهما يتخاطبان والمخاطبة مصدر يفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن"[2]. ولما كان الخطاب الأدبي عامة والشعري خاصة يقوم على المشاركة ويتكون من المرسل والرسالة والمتلقي، فإن الدراسة تناولت الخطاب من ذلك المنظور الشمولي الذي يبدأ بالمخاطِب ويصل إلى المخاطَب مرورا بالخطاب.

---

[1] مولاي علي بو خاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي :الإشكالية والأصول والامتداد، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب،2005م)، 252.

[2] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون (د ،ط)، (القاهرة ، دار المعارف ،(د.ت) ، مادة (خطب)، 13/ 1194.

وقد استوقف الباحثة إغفال كثير من الدراسات التطبيقية العربية للخطاب الشعري لعنصرين مهمين من عناصر الخطاب هما المخاطِب (المبدع) و المخاطَب (المتلقي) وتركيزها على الخطاب (النص الشعري)؛ على الرغم من أن الرسالة الشعرية موجهة من مرسل إلى مرسل إليه وبينهما خطاب يشتركان في صنعه، بالإضافة إلى أن الرؤية النقدية حينما تقتصر على عنصر من هذه العناصر دون آخر فإن ذلك سيؤدي إلى قصور في النظرة وتظل في حاجة إلى من يكملها، والدليل على ذلك يتجلى من خلال نظرة يلقيها الباحث على المناهج النقدية الحديثة، سيجد من خلالها كيف بدأت بالمناهج التقليدية التي تهتم بالمبدع وبيئته ونفسيته على حساب النص والمتلقي كالمنهج (التاريخي والاجتماعي والنفسي) وغيرها، وكردة فعل لهذا التوجه ظهرت المناهج النقدية اللسانية التي تهتم بالنص على حساب المبدع والمتلقي كـ (البنيوية والتفكيكية والأسلوبية) وغيرها، وكردة فعل لهذين التوجهين في النقد ظهرت نظرية التلقي والتي تهتم بالمتلقي كون العملية الإبداعية لا تتحقق إلا حين الوصول إليه.

ولأن الجمالية في أبسط معانيها تقوم على التكامل والتناغم والانسجام، بدا للباحثة أن تعنى بالجمالية من زاوية تكاملية ، تتجاوز حدود النص ولغته إلى الخطاب باتصال عناصره عند الشاعر العربي السعودي محمد حسن عواد، ومن هذا المنطلق جاء موضوع البحث بعنوان: (جماليات الخطاب الشعري عند محمد حسن عواد في ضوء نظرية الاتصال الأدبي). وإذا كانت جمالية النص تتحقق بتكامل عناصره (الصوتية والمعجمية والنحوية والصورية) فإن جمالية الخطاب تتحقق بتكامل عناصره كذلك، فالمبدع هو منشئ الجمال، والنص هو الرسالة الجمالية، والمتلقي هو المتأثر بالجمال، وعليه فالمواطن الجمالية في الخطاب أوسع وأشمل في رؤيتها من الخصائص النصية، وفي ضوء هذه الرؤية كان لا بد من منهج نقدي يتناسب معها؛ ويتوافق مع شمولية المفهوم والطرح؛ لذلك اختارت الدراسة(نظرية الاتصال الأدبي) والتي تندرج تحت المنهج التأويلي وتتميز بشمولية الرؤية والمعالجة؛ إذ هي لا تقتصر

على العناية بالنص، بل تمتد لتشمل المبدع والمتلقي وبذلك تلتقي وتتوافق مع الخطاب فيهما كما يتبين مما يلي :

الخطـــــــــــــــاب = المخاطِب ← الخطاب ← المخاطَب

نظرية الاتصال الأدبي = المرسل الرسالة المتلقي

وفي ضوء ذلك تسعى الدراسة لتقديم معالجة شمولية لجماليات الخطاب الشعري من خلال التطبيق على الأعمال الشعرية لشاعر من أهم شعراء المملكة العربية السعودية، ورائد من روادها يمثل مرحلة من مراحل تطورها الأدبي والفكري لفترة من الزمن تزيد على النصف قرن. إنه الشاعر محمد حسن عواد، وهومن جيل المجددين الذين جمعوا إلى الإبداع الشعري الإبداع النثري والنقد، فهو أديب ناقد صاحب رؤية نقدية وإبداعية واعية، وهو من الرواد الذين جربوا التجديد في القصيدة بكل أشكاله، فنجد في شعره تنوعاً في الشكل والإيقاع، فقد كتب القصائد والمقطوعات والملاحم، وكتب القصيدة العمودية كما كتب قصيدة التفعيلة.

ولم يحظ العواد بالكثير من الدراسات المستقلة عن أدبه عامة، ولا الخطاب الشعري خاصة من منظور الاتصال الأدبي على الرغم من أنه من جيل الرواد المجددين في الأدب العربي في المملكة العربية السعودية، ولكن هناك بعض الدراسات التي عنيت بشعره نذكر منها دراسة طلال الريماوي عام1977م (العواد في عالم الأدب) ،ودراسة علي المصري عام1399هـ (ومضات في ديوان العواد الجزء الأول)، ودراسة آمنة عقاد 1402هـ(محمد حسن عواد شاعرا)، ودراسة دلال العبدلي عام1403هـ (مظاهر التجديد في شعر العواد)، ودراسة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف بعنوان (الرؤيا الإبداعية في شعر العواد).

ولكن هذه الدراسات سواء المستقلة أو المنشورة في مجلات متخصصة أو غير متخصصة لم تتطرق لجماليات الخطاب الشعري عند العواد وفق نظرية الاتصال التي نحن بصدد الدراسة في ضوئها .

أسباب اختيار الموضوع هي:

- ❖ الرغبة في تقديم معالجة نقدية شمولية حديثة لمكتبة الأدب العربي .
- ❖ قلة الدراسات العلمية المقدمة عن جماليات الخطاب الشعري في الأدب العربي في السعودية .
- ❖ قلة الدراسات المقدمة حول شعر محمد حسن عواد كعلم من أعلام الشعر العربي، والذي يمثل أدبه حركة أدبية في المملكة لمدة تزيد عن نصف قرن.
- ❖ قلة الدراسات التي تقدم معالجة نقدية إجرائية حديثة للخطاب الشعري تشتمل على جملة من عناصر الخطاب في الأدب العربي .

فالدراسة بمثابة إعادة النظر في طبيعة ممارسة تحليل جماليات الخطاب الشعري استنادا إلى معطيات علمية نقدية حديثة في أنموذج يمثله شعر محمد حسن عواد.

واعتمدت الدراسة على المنهج التأويلي متمثلا في نظرية الاتصال الأدبي وآلياتها والتي جاءت متساوقة مع المفهوم الذي حُدد للخطاب الشعري وعناصره وطبيعة الدراسة التي قسمت وفقا لآليات المعالجة في النظرية إلى خمسة فصول – بعد مقدمة ومدخل – : تناول الفصل الأول المبدع والرؤية التكوينية بمكوناتها (الاجتماعية والنفسية والدينية والثقافية والحضارية) والتي تشكل الخطاب الشعري من خلالها ، وتناول الفصل الثاني النص والخاصية النصية (المفهوم، والتفاعل النصي الداخلي ويقصد به

التناص الناتج من كون النص الشعري الحالي ناتج عن نصوص أخرى، والبنية النصية للنص الشعري والتي تنقسم إلى نوعين بنية كبرى تتمثل في السسيونصية، وبنية صغرى تتمثل في السيكولونصية). وتناول الفصل الثالث الوسيلة الاتصالية التي استخدمها الشاعر لإيصال النص إلى الجمهور؛ إذ أن لكل وسيلة نمطا و تأثيرا على المتلقي . وتناول الفصل الرابع المتلقي واستراتيجية القراءة (تحديدا لنوع و دور القارئ، وتتبع لاستراتيجية القراءة والاتصال من خلال النص)، وتناول الفصل الخامس الارتداد العكسي والذي يرصد مدى تأثير النص الإبداعي في المتلقي وما ينتج عن ذلك من نصوص إبداعية أخرى. ثم خاتمة عرضت لأهم نتائج الدراسة.

وأهم مصدر اعتمد عليه البحث (ديوان العواد)، أما المراجع فأهمها: (الأعمال الكاملة للعواد)، ونظرية التلقي لروبرت هولب ترجمة د. عز الدين إسماعيل (2000م)، وفعل القراءة نظرية التجاوب في الأدب، لفولفجانج آيزر[3]، ونظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، للأستاذ الدكتور مراد مبروك، والدكتور رضوان منيسي، والدكتور منصور ضباب[4].

كذلك الدراسات عن الأدب السعودي وأهمها كتاب الشعراء الثلاثة في الحجاز لعبد السلام الساسي(1368هـ) والأدب الحجازي بين التقليد والتجديد للدكتور إبراهيم الفوزان(1401هـ)، وأعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة لمحمد مغربي(1401هـ)، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي لعمر الطيب الساسي(1406هـ)، والشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم أبو بكر(د.ت)، وإقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة للدكتور إبراهيم فوزان الفوزان(1401هـ).

---

[3] ترجمة حميد لحمداني(د.ت).

[4] طبعة مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز عام (1434هـ=2013م).

إلى جانب بعض الدراسات السابقة التي سبق الإشارة إليها، وأهمها كتاب (محمد حسن عواد شـــاعرا) لآمنة عقاد .

وقد صادفت هذه الدارسة كبقية الدراسات معوقات وصعوبات أعان الله على تجاوزها وتخطيها، أولها حداثة المنهج وندرة الرسائل العلمية فيه، ثانيها قدم المراجع التي عن العواد وندرة وقلة نســـخها، نظـــرا لأنها دراسات يرجع بعضها إلى ما لا يقل عن أربعة وثلاثين عاما .

وأخيرا أتوجه بالشكر لكل من ساندي ودعمني لإنجاز هذه الرسالة، وأخص بالذكر المشرف عليهـــا سعادة الأستاذ الدكتور/ مراد عبد الرحمن مبروك ، والذي كان له الفضل بعد الله توجيها وإرشادا ونقـــدا بناء ورؤى علمية قيمة إلى جانب سعة صدره وكريم أخلاقه.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن أكون وفقت في تقديم ما يحسب لي في موسوعة الدراسات في الأدب العربي في المملكة العربية السعودية، وأن يجد القارئ في هذا الجهد ما ينتفع به ويفتح له بابا جديدا فـــي الأدب والنقد . وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتجاوز عن الخطأ والتقصير ، إنه ولـــي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد .

المدخل

المنهج وآليات المعالجة

تقوم العملية الإبداعية على التفاعل بين أركانها الثلاثة (المرسل والرسالة والمتلقي)؛ لذلك فإن الاقتصار في المعالجة النقدية على أحدها يُعدُّ دراسة لركنٍ من أركانها، ولا يمثل العملية الإبداعية في حد ذاتها التي يمتد كل ركن فيها إلى الآخر في عملية ديالكتيكية تتداخل عناصرها وتكمل بعضها البعض، وانطلاقا من فكرة التفاعل والاتصال والتكامل بين أركان العملية الإبداعية، فإنه لا يمكن تحقيق الشمولية في الرؤية والمعالجة النقدية، إذا اقتصرنا على ركن منها دون آخر .

وعلى أساس من هذه الفكرة تقوم نظرية الاتصال الأدبي التي نحن بصدد اتخاذها منهجا للدراسة على التفاعل وتكامل عناصر العملية الإبداعية، والتي تبدأ بالمبدع وتنتهي بالمتلقي مرورا بالنص عبر الوسيلة الاتصالية، هذه العناصر ترتبط بعلاقة تفاعل ثنائية الاتجاه من المبدع إلى النص إلى المتلقي والعكس.

وتندرج نظرية الاتصال الأدبي تحت المنهج التأويلي، وتستند على النظريات التي تندرج تحت هـذا المنهج وأهمها نظرية التلقي، إذ يمكن اعتبار هذه النظرية – أي نظرية التلقي– النواة المكونـة لنظريـة الاتصال الأدبي .

وأكثر الرؤى تأثيراً في نظرية الاتصال الأدبي هي رؤى آيزر، وخاصة ما يتعلـق منهـا بجانـب التفاعل بين القارئ والنص، أو ما أطلق عليه البنية الاتصالية للأدب الخيالي[5]، والتي تقوم على خمسـة أركان أساسية، وهي[6]:

1 – خاصية النص القابل للقراءة.

2 – استكشاف المعنى.

3 – القارئ الضمني.

4 – استراتيجية القراءة.

5 ــ البنية الاتصالية للأدب الخيالي.

غير أن نظرية الاتصال الأدبي أضافت ثلاثة أبعاد[7]، وهي :

- المؤلف للنص وقد أهملته معظم نظريات التلقي والنظريات التي تهتم بالنص في الدراسات النقدية.

- الوسيلة الاتصالية سواءً أكانت مطبوعة أم مسموعة أم مرئية أم إلكترونية، وغير ذلك.

---

[5] ينظر: مبروك وآخرون، نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، ط1، (جدة : مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز،1434هـ=2013م)،158- 159.

[6] للمزيد ينظر: روبرت هولب، نظرية التلقي، ترجمة الدكتور عز الدين إسماعيل، د.ط ، (د.ب : المكتبة الأكاديمية ، 2000م)،165-168.

[7] للمزيد ينظر: مبروك وآخرون ،المرجع السابق، 159.

- الارتداد العكسي، وهو محور لإنتاج وتوالد النصوص الإبداعية أو النقدية .

آليات المعالجة :

تتكون نظرية الاتصال الأدبي من خمسة أركان أساسية تبدأ بالمبدع مرورا بـــالنص والقـــارئ عبـــر الوسيلة الاتصالية وتنتهي بالارتداد العكسي لتحقيق المعالجة الشمولية للنص الأدبي، وهي[8] :

1 – المؤلف أو المنتج للنص :

وفي هذا الركن تتم معالجة الرؤية التكوينية للمبدع سواء أكان ناقدا أم أديبا وتتكون هذه الرؤيـــة مـــن الجوانب الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية والحضارية التي شكلت وعي هذا المبدع .

2 – النص : وتتم معالجته النص من خلال ثلاثة أبعاد، هي :

- الخاصية النصية .
- التفاعل النصي : وينقسم إلى تفاعل داخلي ويمثله (التناص) وتفاعل خـــارجي ويمثلـــه مرحلـــة الارتداد العكسي .
- البنية النصية : وتنقسم إلى قسمين هما :

- البنية السسيونصية باعتبار أن النص يتأثر بالمجتمع الذي يولد فيه .
- والبنية السيكولونصية باعتبار أن النص يتأثر بالذات المنتجة .

---

[8] للمزيد حول آليات المعالجة ينظر: مبروك وآخرون، مرجع سابق، 159–161 .

3 – وسيلة الاتصال : و"يعني بها القناة التي تساعد في توصيل الرسالة النصية من المرسل إلى المتلقي وقد تكون وسيلة مخطوطة أو مطبوعة أو مسموعة أو مرئية أو غير ذلك"[9].

4 – القارئ أو المتلقي : وتتم معالجة هذا الركن من خلال أربعة محاور، وهي:

الأول : دور القارئ ويتمثل في خمسة أدوار، هي :

1) استكشاف المعنى.

2) ملء الفراغات.

3) ربط الأجزاء غير المترابطة.

4) ضبط البنى المتحولة.

5) تأسيس البنية النهائية.

الثاني : نوع القارئ سواءً كان قصدياً أو ضمنياً..

الثالث : استراتيجية القراءة وتنقسم إلى خمسة أبعاد هي البعد الذاتي والصوري والباطني والجدلي والوظيفي.

الرابع : استراتيجية الاتصال وتنقسم إلى قسمين: اتصال متعادل وآخر غير متعادل (الاتصال المنحرف) والذي يعالج من خلال المقومات والوظائف والأسباب، فالمقومات تهتم بالمقدم الشكلي والمزدوج

---

[9] المرجع السابق،160.

والمجاوز للعالم. والوظائف من خلال التقويم الأدبي والقوة الأساسية للاتصال الأدبي وإنتاج وجوه السلب الأولية والثانوية .

5 – الارتداد العكسي: وينقسم إلى قسمين الأول : مباشر من خلال العملية الانعكاسية للبنية التي تعتمد على الإبانة والوضوح، والثاني : غير مباشر من خلال العملية الانعكاسية للبنية التي تعتمد على الإيحاء والرمزية.